المقاربات و المناهج البحثية في علوم الإعلام والاتصال مفاهيم و نماذج

Approaches and research approaches in media and Communication Sciences concepts and models

إعداد

سعداوي فاطمة الزهراء

Saadawi Fatima Zahra

جامعة الجزائر٣

Doi: 10.21608/jacc.2023.281555

استلام البحث ٢٥/ ١٠ /٢٠٢٢

قبول النشر ١٢ / ١١ /٢٠٢٢

سعداوي، فاطمة الزهراء (٢٠٢٣). المقاربات و المناهج البحثية في علوم الإعلام والاتصال مفاهيم و نماذج. ***المجلة العربية لإعلام وثقافة الطفل***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٦ (٢٣) ، ٢١ – ٣٤.

http://jacc.journals.ekb.eg

المقاربات و المناهج البحثية في علوم الإعلام والاتصال مفاهيم و نماذج

المستخلص:

إن طرحنا لقضية المقاربات و المناهج البحثية في علوم الإعلام و الاتصال بصفة عامة من جهة و بصفة خاصة في جامعات و مراكز دول العالم العربي من جهة أخرى لم يكن محضى الصدفة بل كان نابع من جملة الإشكاليات و التساؤلات المطروحة حول بناء هذا الواقع المنهجي الهش، خاصة في بحوث الإعلام و الاتصال ،و الاختلاف الواضح في موضوع التأسيس المنهجي و الأطر المعرفية الذي يظهر في المستويين الفكري و الإبستمولوجي للأطر المعرفية و الفكرية لها،لذا يستلزم الاهتمام الجاد بوضع أو حالة علوم الإعلام و الاتصال في الوطن العربي . و على هذا الأساس فلا بد أن نوضح و نهتم بالجدل القائم حول هذه القضية التي أرقت العديد من الباحثين و المهتمين بعلوم الإعلام و الاتصال في الوطن العربي خاصة بعدما أصبحت علم قائم بذاته حيث أننا لا يمكن تفسير هذه المناهج و المقاربات من فراغ ، لأنها تتطلب استكشاف الواقع الإمبريقي للجامعات العربية و تحتاج كذلك إلى منظومة مفاهيمية أو إعادة النظر في النظريات التي أنتجتها طبيعة المجتمعات العربية

الكلمات المفتاحية :المقاربات ،المناهج البحثية ،الحتمية القيمية

Abstract:

The launching of the issue of approaches and research approaches in the field of media and communication in general, on the one hand, especially in universities and centers of the Arab world, on the other, was not honest, but was one of the problems and questions raised about building this fragile methodological reality, The field of media and communication, and the difference in the subject of systematic establishment and knowledge frameworks that appear at the intellectual and epistemological levels of cognitive and intellectual frameworks, so requires serious attention to the status or status of information and communication sciences in the Arab world

On this basis, we must clarify and care about the debate on this issue, which has attracted many researchers and interested in science and communication in the Arab world, especially as it becomes a science in itself . We can not explain these approaches and approaches in a vacuum, because they require exploring the empirical reality of Arab universities and also need a conceptual system or reconsider the theories produced by the nature of Arab societies.

Keywords: approaches ,research approaches ,value determinism

مقدمة

الباحث في حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية، يجد نفسه أمام كم هائل من المناهج والمقاربات والأدوات،خاصة بعد الانتشار السريع للتكنولوجيا الحديثة. لذلك، أصبحت تعترضه العديد من الصعوبات خلال انجاز بحثه، فقد اجتهد العديد من الباحثين و الكتاب و المهتمين في دراسة مختلف الظواهر الاتصالية في علوم الإعلام و الاتصال ،لأن أي مقاربة تمنح الباحث المسار الصحيح في دراسته طبيعتها من فروض و تساؤلات و ... ومنهج الدراسة و فهمها و تحليليها و استخلاص نتائجها .

حيث تم طرح عدة نقاط في هذا الموضوع معرفية إبستمولوجية كمفهوم المقاربات و المناهج ،و قدمنا نموذجا من النظريات الإعلامية التي تدرس الظاهرة الإعلامية من المنظور الثقافي القيمي للمجتمع ،و تضمن الإشراف و التوجيه الثقافي القيمي للتقنية و التكنولوجيا ،نظرية استوعبت مناهج و أساليب العلوم الاجتماعية و الإنسانية و أقامت جسورا بين النظريات و المناهج الغربية ،فنظرية عزي عبد الرحمان الحتمية القيمية ،لذا نحاول في هذا الموضوع رسم خطوط عريضة لهذه المفاهيم و تزويدها بنموذج نظرية الحتمية القيمية لعزي عبد الرحمان التي غيرت التوجه نحو بناء فكر اتصالي و إعلامي قيمي حضاري .

تحديد المفاهيم :

أولا ـ مفهوم المقاربة(L'approche) :

❖ **المقاربات :**

لم يكن ظهور المقاربات كأنماط تفكير ، محض الصدفة أو نتاج عوامل اعتباطية بين أنماط التفكير الفلسفي و الديني التي كانت سائدة لفترة طويلة من تاريخ الفكر البشري، بل نابع من مدارس واتجاهات فكرية تطورت وفق التطور البشري في تفاعلاته الاجتماعية ،بعد جملة من الدراسات و البحوث و النظريات التي تناولت الفرد في مجتمعه و تفاعلاته المختلفة .

يوجد العديد من التعاريف التي تحاول أن تعطي مفهوما للمقاربة نذكر منها :

أ ـ المقاربة حسب القاموس الفرنسي لاروس (Larousse) هي : الكيفية التي يتناول بها موضوع ما أو مشكلة ما.

ب ـ المقاربة حسب تعريف (Legendre) في قاموسه التربوي ، إنها: كيفية دراسة مشكل أو معالجة أو بلوغ غاية ، و ترتبط بنظرة الدارس إلى العالم الفكري الذي يحبذه في لحظة معينة ، وترتكز كل مقاربة على إستراتيجية للعمل.

ج ـ تعريف "موريس أنجيرس :(Maurice Angers)"المقاربة هي شكل خاص غير متزمت لاستخدام نظرية علمية. (بركات، ٢٠٢٠)

د. هي أطروحات نظرية لا ترقى إلى درجة النظرية أي هي مرحلة من مراحل النظرية

ه. هي أساس نظري يتكون من مجموعة من المبادئ يتأسس عليها البرنامج أو المنهاج .

و.الطريقة التي يتناول بها الباحث موضوع بحثه (٢٠١٧) نستنتج مما سبق يمكن القول بأن المقاربة هي عبارة عن مجموعة التصورات والمبادئ و الاستراتيجيات التي يتم من خلالها تصور الكيفية التي يتم وفقها معالجة موضوع ما.

❖ أنواع المقاربات :تعدد أنواع المقاربات حسب طبيعة تحليل الظواهر بصفة عامة

أ – المقاربة التاريخية : و هي الصبغة التي قد تأخذها البحوث و الإشكاليات التي تحتاج من الباحث العودة بالظاهرة إلى الماضي و البحث فيما يمكن أن يساهم في فهم و تحليل إشكاليات الحاضر (تمار، ٢٠١٨)، تتعامل هذه المقاربة مع أحداث وقعت في الماضي و بالتالي يتوصل الباحث إلى النتائج بناءاً على الأدلّة و البراهين التاريخية التي يمكن الحصول عليها في الحاضر، و على هذا الأساس فإن تصميم نموذج لقراءة و بحث مختلف الأحداث التي وقعت في الماضي و التي لها علاقة بالمضمون وعاء الفكر و المعرفة و من ثمّ مطابقتها مع الإشكالية العامة لعلم الإعلام و الاتصال، سيساهم في فهم أنظمة التسيير الماضية و الحالية عندما نريد أن نجري عليها بحثا نقدياً أو مقارنا (تمار، ٢٠١٨).

ب – المقاربة المقارنة : هذه المقاربة، تعني تلك الحركة الفكرية التي يتحلى بها الباحث عند تحليله لمختلف الأفكار و الربط بينها لتشكل الحقائق التي تفسر الإشكالية و أهداف الدراسة، فمقارنة توجه صحيفتين نحو التعامل مع حدث معين، يقتضي التحلي بالتفكير المقارن في كل محطات هذا النوع من البحوث، و إذا قلنا ما هي الأسباب التي تجعل قناة تلفزيونية ما أكثر مشاهدة من قناة تلفزيونية أخرى، هنا أيضاً ننتظر أن تكون المقاربة مقارنة على أسس مختلفة أوجه شبه أو إختلاف .. (جامعةورقلة، ٢٠٢٠).

ج – المقاربة البنيوية : تهدف المقاربة البنيوية إلى تصور الكيفية التي تُبنى بها المعرفة العلمية للظواهر محل الدراسة و البحث، خاصة فيما يمكن أن يشكل مظاهر الثبات و الاستقرار و القوانين التي تتحكم فيها، باعتبار أن الظواهر تخفي نظام أو أنظمة تتحكم فيها، لذلك يقول أحد الباحثين " فالباحث البنيوي يسعى إلى اكتشاف النظام الكامن خلف الفوضى البادية،و اكتشاف القانون الحاكم لهذه الظواهر، أو الأحداث، أو الأشياء التي تعمل طبقاً رغم اختلافها، إنه يترصد تلك العلاقات الباطنة، أي التي تنبع من داخل الظواهر نفسها – و التي تحركها، وتضمن لها البقاء والاستمرار والتجديد" .

د – المقاربة الإمبريقية: تعد المقاربة الإمبريقية، من أقدم مقاربات البحث في التاريخ القديم، غير أن الاستخدام المعاصر الأول لها، كان في دراسة التأثير المباشر لوسائل الإعلام و الاتصال على جمهور المتلقين، من خلال المقاربة التجريبية الإمبريقية الأمريكية لدراسة تأثير السينما في المجتمع، تحت عنوان "البحث في تأثير وسائل الإعلام" فكانت الخطوة الأولى تصنيف و تقسيم المشمولين بالبحث، في محاولة قياس الآثار المباشرة للاتصال على الجمهور.

بمعنى بسيط، المقاربة الإمبريقية، هي تلك الدراسات التي تعتمد على الأبعاد التكميمية (الكمية) و الإحصائية و الرياضية في محاولة فهم الظواهر و كيفية حدوثها (تمار، ٢٠١٨).

ه ـ **المقاربة الوظيفية:** هي تلك المقاربة التي تحاول تفسير الظواهر بناء على وظائفها، أي معرفة الوظيفة التي تؤديها ظاهرة من الظواهر، أو عنصر من العناصر و كذلك أسباب نشأتها.

بلغة أخرى، يقوم التحليل الوظيفي على الربط بين جزء من النظام الاجتماعي و جزء آخر، أو بين جزء و بقية الأجزاء حيث تتمثل وظيفة كل جزء ، في المساهمة التي يقدمها للحياة العامة للهيئة و في الدور الذي تلعبه، و بالتالي فإن حياة الهيئة في بداية المطاف تكون مرتبطة بوظيفة بنيتها، فمن خلال ديمومة وظيفتها تتحقّق استمرارية بنيتها.

و – **المقاربة النقدية:** تهتم المقاربة النقدية بعلاقة الإنتاج بالمشكلات الاجتماعية، و قد تبنت دراسات الثقافة النقدية منظوراً شاملاً في دراسة الكبرى، حيث تهتم بالنظام الاجتماعي ككل .

إذن المقاربة النقدية، تعتني بالبحث في السياقات المختلفة التي يقوم في إطارها الفعل الاتصالي (التعرض لمضامين وسائل الإعلام على سبيل المثال) (عوابدي، ١٩٨٥)، فإذا كنا بصدد دراسة كيفية تعرض الأطفال لمضامين التلفزيون، و أردنا البحث فيها من منظور النقدي، فهذا يعني البحث في مختلف الأوساط (الاجتماعي، العائلي، المدرسي،) الذي يتعرض فيه الطفل إلى تلك المضامين، و قد يكون ذلك عن طريق أدوات بحثية كالمقابلة، أو إستمارة الاستبيان أي عن طريق المسائلة بصفة عامة.

ثانيا : مفهوم المناهج البحثية :

✓ المناهج البحثية :

المناهج جمع منهج و المنهج لغة يعني طريقة أو نظام (عوابدي، ١٩٨٥).كما تعني كلمة منهج 'méthode ' كيفية أو طريقة أو فعل أو تعليم شيء معين ،وفقا لبعض المبادئ و بصورة مرتبة و منسقة و منظمة (عوابدي، ١٩٨٥، صفحة ١٣٩).

و عرفه **دكتور عوابدي** أنه الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته للمشكل لاكتشاف الحقيقة، فهو فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة غما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون نجهل بها ،و من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون نعلم بها (عوابدي، ١٩٨٥، صفحة ١٤٠)

ويعرف كذلك بأنه إحدى الطرق المستخدمة في ترتيب المعلومات و تنظيمها حتى يتم عرضها بشكل منطقي و سليم .

من خلال هذه التعريف يمكن القول أن المناهج هي مستوى آخر من التنظيم المنهجي، و التناول الفكري للظواهر، بمعنى مبسط، والإطار الفكري الذي لا بد على الباحث أن يفكر فيه قبل بداية البحث، و هذا الإطار تحكمه مجموعة من الضوابط و المبادئ.

✓ أنواع المناهج البحثية :

من بين أكثر المناهج استعمالا في بحوث الإعلام و الاتصال، هي:

أ – **المنهج التاريخي:** المنهج التاريخي في أوسع معانيه، يعني استرداد الماضي تبعاً لما تركه من أثار، أين كان نوع هذه الآثار، لذلك سمي عند البعض بالمنهج الاسترادي لأنه عملية استرداد أو استرجاع للماضي، من جهة أخرى،فهو يفيد في صنع معرفة عن الماضي الإنساني ،بمعنى الإستناد إلى طرق عقلانية توصل إلى الحقيقة .

فالمنهج التاريخي هو مجموعة الطرق و التقنيات التي يتبعها الباحث للوصول إلى الحقيقة، و إعادة بناء الماضي بكل وقائعه و زواياه، و هذه الطرق قابلة دوماً للتطور و التكامل مع تطور جموع المعرفة الإنسانية و تكاملها و أدوات اكتسابها (بن مرسلي، ٢٠١٠، صفحة ٢٩٢).

و قد عرفه **موريس انجلس** 'إعادة بناء الماضي بتفحص أحداثه انطلاقا من الوثائق و الأرشيف ،و هو مثل أي منهج أخر يقوم على خطوات بحثية خاصة ' (بن مرسلي، ٢٠١٠، صفحة ٢٨٧)

إن الهدف من المنهج التاريخي، هو صنع معرفة علمية من الماضي الإنساني، و هذا الصنع يستند إلى طرائق عقلانية توصل إلى الحقيقة أو على الأقل تفسير البعض منها بقدر ما تسمح به الظروف التي تخضع لها، وهي ظروف تقنية تتعلق و ترتبط بطبيعة الوثائق المستخدمة و وجودها أو توفر شهادات حية عن من كان جزء من الظاهرة.

ب – المنهج المقارن : للمنهج المقارن على الأقل ثلاثة أصناف من التعاريف، الأولى لها طابع عام، أي أن المنهج المقارن يعني الفعل الذي يتفحص علاقات التشابه و الاختلاف بين الظواهر أو مكوناتها، الثانية و ترى أن المنهج المقارن هو الحركة التي تقارب لتجمع قصد التكامل، التعريف الثالث يرى أن المقارنة هي الحركة التي تقرب بين أشخاص أو أشياء ذات طبائع و أصناف مختلفة لا يمكن الجمع بينها، ورغم هذا الاختـــــــلاف فإن الإجماع فيها يكون، أن المنهج المقارنـــــــــة يجمع – للدراسة – ظاهرتين أو أكثر قصد تحليل ما يقربها أو يفصلها (موقع، ٢٠١٧).

ج – المنهج المسحي: هو أكثر المناهج استعمالاً في البحوث الإعلامية الاتصالية خاصة في بحوث الإعلام و الاتصال في الوطن العربي ، المنهج المسحي هو محاولة تحليل وتفسير وعرض واقع الحال للأفراد في مؤسسة أو منطقة معينه لمعرفة الاتجاهات أو لتوجيه العمل حاضراً ومستقبلاً، و قد يكون المسح على وثائق أو أشرطة أو أي محتوى في حامل قد يُستخدم لإجراء الدراسات الاستكشافية والوصفية والتفسيرية دون استثناء (بن مرسلي، ٢٠١٠، صفحة ٢٨٦)

المنهج المسحي هو المنهج الذي يقوم على جمع المعلومات و البيانات عن الظاهرة المدروسة ،قصد التعرف على وضعها الحالي و جوانبها قوتها و ضعفها (تمار، ٢٠١٨).، بمعنى أن المسح بطابعه هذا، يُعد ضرورياً في تقريب كل الظواهر محل الدراسة و البحث، كما أنه يتداخل مع الكثير من المناهج الأخرى التي تحتاج إلى نظرة دقيقة لتفاصيل الظاهرة و مكوناتها، فجمع مكونات الظاهرة تحتاج إلى المسح، و ترتيب المتغيرات يحتاج إلى مسح، و رسم حدود الظاهرة يحتاج هو الآخر إلى مسح و هكذا ..

د – منهج دراسة الحالة: من خلال تسميته، يتضح أن منهج دراسة الحالة، يحاول الإنفراد بدراسة وحدة إعلامية أو اتصالية (جريدة على سبيل المثال، أو قناة تلفزيونية أو خلية من خليا الاتصال في المؤسسات ..) ، و هذا النوع من المناهج يفترض أن يكون التحليل معمقة و مستفيض يتناول فيها الباحث كافة المتغيرات المرتبطة بالوصف الكامل والتحليل (بن مرسلي، ٢٠١٠، صفحة ٣٠٢).

و هو حسب **أحمد مرسلي** "البحث المتعمق للحالات الفردية في إطار المحيط الذي تتفاعل فيه ،حيق يقوم على افتراض أن كل حالة قابلة للدراسة تكون مع المجال الذي تتفاعل داخله وحدة (بن مرسلي، ٢٠١٠، صفحة ٢٨٨).

دراسة الحالة، هو منهج يُستعمل لدراسة شيء مميز في ظاهرة معقدة، و قد نجد العديد من التعاريف لهذا المنهج في الأدبيات المنهجية، منها على سبيل الحصر، هو مجموعة من المعطيات الإمبريقية، التي تُجمع حول حالة أو حدثاً أو وضعية تشكل في مجملها وحدة التحليل، أما هامل Hamel فهو يرى أن منهج دراسة الحالة، يتمثل في إعادة الحدث إلى سياقه و النظر في الكيفية التي يظهر بها و يتطور، بعبارة أخرى البحث في الكيفية التي يتدخل فيها السياق لتحريك الحدث محل الدراسة (حسين باهي و أحمد الأزهري، ٢٠٠٦، صفحة ٦٩).

✓ **أدوات التحليل:**

أي مشكلة بحثية تحتاج لدراستها جملة من الأدوات، و طبعا هذه الأدوات تختلف حسب طبيعة الموضوع و مستوياته و منهجه ،هذه الأدوات قد تصلح في كل المناهج بقدر من التعديل و التكييف من بحث إلى آخر، و على كثرتها، علينا أن نضع التفسير أكثر إلى ما تحتاجه البحوث الإعلامية الاتصالية، أي الملاحظة بأنواعها، المقابلة، الاستبيان، و تحليل المضمون – على الأقل في الدراسات الإعلامية الاتصالية -. أكثر الأدوات انتشارا:

– **الملاحظة:** هي عملية إدراكية يستعمل فيها الباحث قدراته الحسية عند تأمله لعناصر الظاهرة و كيفية حدوثها يعتمد الباحث فيه على الربط بين جزء من الواقع الذي يلاحظه و بين ما تم التخطيط له في إشكالية و أهداف الدراسة، و لا تقتصر الملاحظة كما يقول **سمير محمد حسين**، على مجرد التسجيل السلبي للوقائع، إنما تتعدى ذلك إلى التدخل الإيجابي من العقل الذي يقوم بدور رئيسي في إدراك العلاقات المختلفة بين الظواهر، حيث يرى أن الملاحظة هي الاختيار، و الاستثارة والتسجيل، وتفسير مجموعة من السلوك و الأوضاع في ظروفها الطبيعية تفسيراً يتسق مع الأهداف العلمية.

– **المقابلة:** هي أداة يستعين بها البحث في جمع المعلومات الضرورية لبحثه من مختلف المصادر الحية التي تكون لها علاقة مباشرة بالظاهرة، بمعنى إجراء مقابلة مع الشخصيات الفاعلة في الظاهرة أو تلك التي لها علاقة غير مباشرة بالظاهرة و تكون معلوماتها فعالة في حدوثها أو تفسير بعض ملامحها

و يعرفها **انجلش انجلش English & English** " أنها محادثة موجهة يقوم بها فرد مع أخر و هدفها استثارة أنواع معينة من المعلومات لاستغلالها في بحث علمي أو الاستعانة بها في التوجيه و التشخيص و العلاج " (عبد الحميد، ١٩٩٣، صفحة ٣٩٢).
و يعرفها كذلك **محمد عبد الحميد** " بأنها تفاعل لفظي بين الباحث و المبحوث أو المبحوثين لتحقيق هدف معين " (عبد الحميد، ١٩٩٣، صفحة ٣٩٨).
– **الاستبيان:** كما قد تُعرف بالاستمارة الاستبيانية أو الصحيفة الاستبيانية، و هي أداة هامة من أدوات جمع البيانات، يقوم على إثرها الباحث ببناء صحيفة تضم مجموعة من الأسئلة المرتبة لها علاقة بالظاهرة محل الدراسة، مبنية بصفة محكمة و تصب في مجملها إلى تفسير الإشكالية.
- الاستبيان هو "أسلوب جمع البيانات الذي يستهدف استثارة الأفراد المبحوثين بطريقة منهجية و مقننة لتقديم حقائق أو أراء أو أفكار معينة في إطار البيانات المرتبطة بموضوع الدراسة " (محمد حسين، ١٩٩٦، صفحة ١٠٤).
- الاستبيان "هو مجموعة من الخطوات المنظمة التي تبدأ بتحديد البيانات المطلوبة و تنتهي باستقبال الإستمارات من المبحوثين بعد استيفاء هذه البيانات منها " (طعيمة، ١٩٨٧ ، صفحة ٢٣).
و تكمن قيمة الاستبيان في كونه يتطلب التوجه إلى الميدان و الاحتكاك بجمهور البحث و الاطلاع على مختلف الظروف التي يعيشها و كذا العوامل التي تؤثر فيه عند تعرضه للظواهر الإعلامية الاتصالية.
– **تحليل المضمون:** تُعد تقنية تحليل المضمون من أكثر التقنيات استعمالاً في بحوث الإعلام و الاتصال إلى جانب البحوث الاستطلاعية، و هي من بين الأدوات الأكثر رواجاً بين الباحثين في هذا الميدان، ليس هذا فقط بل و في العديد من الميادين المعرفية الأخرى، على ذلك الأساس، يُعد تحليل المضمون من التقنيات الخاصة بعنصر الرسالة، أي هي صالحة أكثر عند الحاجة لاستنطاق و فك رموز الرسالة الإعلامية الاتصال مهما كان نوعها وطبيعتها بل وحاملها أيضا.
و يعرف تحليل المضمون "هو أحد أساليب البحث العلمي التي تهدف الوصف الموضوعي و المنظم لمادة من مواد الإتصال " (paul & moscovici, 1998, p. 36) .
و يعرفه **هنري بول و سراج موسكوفي** " هو مجموعة من التقنيات تستعمل أساسا عند تناول الوسائل اللسانية " (بومعيزة، ٢٠١٥).
و من خلال ماذكرناه فتحديد المناهج البحثية و المقاربات مسألة مهمة في منهجية بحوث الإعلام و الاتصال خاصة أنه علم حديث ،حيث تتم خطوات الحث العلمي انطلاقا من طبيعة الموضوع ومشكلته و إشكاليته تساؤلات و فروض و أدوات و مناهج و غيرها من الخطوات و الهم من ذلك إسقاطها على التصور الكلي الظاهرة الإتصالية و الإعلامية المدروسة .

ثالثا ـ المقاربة النظرية في المجتمعات العربية :نظرية عبد الرحمان عزي الحتمية القيمية نموذجا :

الحتمية القيمية: لــعزي عبد الرحمان

إن الإنسان منذ أن خلقه الله تعالى كائن ذو طبع اجتماعي وسعى دوما للعيش ضمن الجماعة والتواصل مع الآخرين ،مما أدى إلى ظهور العديد من الظواهر الاتصالية حيث سعت معظم نظريات الاتصال إلى تفسير وتوضيح هذه الظواهر كل حسب منظورها،ومن البديهي أن الأنساق الفكرية والمنطلقات النظرية ليست واحدة لدى كل المجتمعات وفي كل الأزمنة ،و في ظل الأوضاع غير مستقرة للبلدان الوطن العربي و لهشاشة ميدان علوم الإعلام و الاتصال في مجتمعاتنا العربية وهذا راجع لعدة أسباب منها حداثة العلم في حد ذاته و قلة المراجع و المصادر في هذا الميدان ،و قلة التنظير المقاربات العربية أدي بالباحث العربي إلى توظيف و استخدام فروض لنظريات غربية و إسقاطها على معالجة مختلف المشكلات داخل المجتمعات العربية ،طبعا انطلاقا من متغيرات تختلف تمام عن المتغيرات الغربية كالعادات و التقاليد و القيم و غيرها من المتغيرات و الأصول العربية .

إلا أن هذا لم يبق حاجرا أما العديد من المفكرين و الباحثين العرب أمثال عزي عبد الرحمان الذي قدم نظريته المشهورة القائمة على مراعاة القيم و الثقافات السائدة في الوطن العربي ، فقد جاءت نظرية الحتمية القيمية بمقاربة لندرك حقيقتها على أنها ليست بديلا عن نظريات الاتصال الغربية المختلفة بقدر ما هي استدراك ثقافي تميزه أصالته ولغته فقد لقيت هذه النظرية صدى كبير في الأوساط الإعلامية العربية والغربية.فماهو فحوى هذه النظرية ؟

١) الفكرة الرئيسية للنظرية الحتمية القيمية :

تقوم الفكرة الرئيسية لنظرية الحتمية القيمية على ربط الفكر الفلسفي الإتصالي بالقيم البيئية التي تجرى فيها معالجة القضايا الاتصالية ،في اتجاه ربط البحث و التنظير بالبيئة ،و تصبح أي دعوة للحديث عن عمومية الفكر الاتصالي ،دعوة قابلة للتجريح... ،و يصبح التطبيق الحرفي للنظريات الاتصالية الحالية و استعمالها المطلق لتفسير كل حالة في كل موضوع و بيئته ،أمر فيه كثير من ضعف الوعي أو غياب الإدراك بخصوصية البيئة و قيمتها الاجتماعية (قالندر، ٢٠١٥).

نظرية الحتمية القيمية للمفكر الجزائري عزي عبد الرحمان جاءت كمساهمة عربية إسلامية في مجال الأبحاث الإعلامية المعاصرة و كنقد وثورة على العربية التي إقتصرت على إسقاط النظريات الغربية على خصوصية المجتمع المحلي، أوفي إعادة قراءة التراث فيما يسمى بالإعلام الإسلامي .

٢) الخلفية الفكرية لنظرية الحتمية القيمية للإعلام

إن اهتمام الدكتور عزي عبد الرحمن بالمنظور الاجتماعي" الفلسفي " في دراسة الاتا ل كظاهرة ذات أبعاد متعددة يعود إلى اهتمامه بالفكر الاجتماعي والفلسفي المعاصر .وقد ساعده هذا الفكر على استيعاب ظاهرة الاتصال بمختلف تجلياتها ،و إن احتكاكه بإتباع بعض النظريات (النظريات

الغربية) في أمريكا كما ذكرنا سابقافكتب عن الظاهرة الاتصالية الإعلامية انطلاقا من بعد ه الحضاري وبالاستناد إلى الفكر الاجتماعي المعاصر ،فقام بالبحث في التراث إلى إن طرحفكرة النظرية الاتصالية القيمية التي تتميز ثقافيا وحضاريا عن النظريات الأخرى من دون أن تلغيها بل بالعكس تساعد على فهمها فهما صحيحا.

و إذا كان أصحاب نظريات الاتصال السابقة اهتموا بالأثر أو التأثير الذي تحدثه وسائل الاتصال ،فإن نظرية عبد الرحمن عزي يصب جزءا منها في هذا الإطار و من هذا المنطل ق فدراسة الأثر لا يتم في منظوره من دون مرجعية تربط محتويات وسائل الإعلام بالقيمة . وقد استخدم الأستاذ عزي عبد الرحمن أداة منهجية من الفكر الاجتماعي البنيوي في الك شف عن هذه التأثيرات الايجابية أو السلبية وهي أداة التضاد الثنائي والتي ترى أن الايجابي لا يفهم إلا عند مقابلته بالسلبي . فتعزيز القيم يقابله تحييد القيم ، توسيع دائرة الاستفادة من ا لثقافة يقابلها تبسيط وتشويه الثقافة ،تحقيق الانسجام وتعزيز الترابط الاجتماعي يقابلها أضعا ف نسيج الاتصال الاجتماعي ، ونقد الذات وتغييرها يقابلها منع الفرد من نقد ذاته وتغييرها ... الخ.

و جاءت تسمية الحتمية القيمية للأول مرة حيث أن الأستاذ عزي عبد الرحمان كان في كتاب في كتابه دراسات في نظرية الاتصال نحو فكر إعلامي متميز .ثم سماها نصير بوعلي بعد المناضرة التي قام بها لهذه النظرية الحتمية القيمية الإعلامية" لتسهيل الفكرة وربطها بالإعلام مباشرة وذكرت ذلك في مقدمة ك تابه" الإعلام والقيم قراءة في نظرية المفكر الجزائري عبد الرحمن عزي "وأطلقت عليها الباحثة " عزوز هند " من جامعة باتنة مسمى" الحتمية القيمية " على النظرية في در استها الأخيرة عن أهمية النظرية ،مبرراتها ومقتضياتها والمسمى الحالي للنظرية" الحتمية القيمية الإعلامية "يتكامل مع المسمى الأصلي للدكتور عزي عبد الرحمن" الحتمية النظري ة القيمية" .فالمسمى الحالي يعكس الواقع " المجسد " أما المسمى الأصلي" الحتمية النظرية القيمية " فهو يعكس ما ينبغي أن يكون عليه الواقع ، أي النظرية وهي على مستوى المخيال المجرد (بوعلي، ٢٠٠٥، الصفحات ٤٦-٤٨).

٣) فروض نظرية الحتمية القيمية

- **" الرسالة هي القيم "**

الرسالة هي القيم: أي أن يكون الاتصال دائما حاملا للقيم الثقافية و الروحية التي تدفع با لإنسان و المجتمع الى التقدم.

و إذا كان صاحب نظرية الحتمية التكنولوجية مارشال ماكلوهان في مقولته ' الوسيلة هي الرسالة' يعني مجتمع الحاضر فان عبد الرحمان عزي من خلال مق ولتهالرسالةهي القيم: حسب ما توصل اليه الباحث نصير بوعلي من خلال التمعن في أطرو حات العلامة يرنوبها الى المستقبل ، أي ما ينبغي أن يكون عليه الاعلام في كتلة المجتمع الاسلامي و غير الاسلامي ،و أن يكون الاتصال نابعا و منبثقا من الابعاد الثقافية و الحضار

ية التي ينتمي اليها المجتمع فالرسالةتكون هادفة نافعة اذا ماتمت في اطار أو تصور أو فكر أو انتماء.

و يفهم من هذا الكلام أن القيمة حتمية ضرورية عند دراسة الاعلام و كلما اقترنت القيمة بالإعلام كلما كان التأثير ايجابيا على المجتمع و كلما ابتعد الاعلام عن القيمة أو تناقض معها و كلما كان التأثير سلبيا.

يقول عبد الرحمان عزي أن القيمة تؤسس الإنسان و لا يكون هذا الأخير مصدر القيمة بل أداة لها { أي تجسد فيه القيمة } .

- **الاثر الاعلامي و نظام القيم**

إن الجديد في نظرية عزي عبد الرحمان هو تقسيمه للتأثير: تأثيرات ايجابية و أخرى سلبية على غرار ما هو معروف في الدراسات الامبريقية من تأثيرات كامنة و أخرى ظاهرة ، مباشرة ، غير مباشرة ، تأثيرات على المدى القصير ة و أخرى على المدى البعيد ... الخ.

و تتضمن تأثيرات محتويات وسائل الإعلام الايجابية في منظوره ما يلي : تعزيز القيم ، التنشئة الاجتماعية توسيع دائرة الاستفادة من الثقافة ، الوعي بالعالم الخارجي ، أو توسيع المحيط ، النظر من زاوية خارجية معايشة عوالم متعددة ، تحمل الانسان عبر الزمان و المكان ، الإشباع ، الترفيه ، نقد الذات و تغييرها ، الإعلام و التفسير و التحليل.

أما السلبية فهي : تحييد القيم ، تبسيط وتشويه الثقافة ، تضييق المحيط ، تقليص المحلي و توسيع العالميإضعاف نسيج الاتصال الاجتماعي ، إضعاف دور قادة الرأي و الفكر ، تقمص أدوار النجوم ...الخ

- **نحو ربط ثقافة الحواس بالقيم**

إن التحليل الذي قدمه عبد الرحمان عزي في قراءته الايبستمولوجية في تكنولوجيا الاتصال يحيل المتمعن الوقوف أمام معرفته الكاملة بالموضوع ـ أي بوصفها نظرية في علوم الإعلام و الاتصال مبنية على : تكنولوجيا الحواس ، و هي في الأصل معرفة إنسانية و لذلك يمكن فعلا فهم العالم الذي من حولنا من خلال الحواس ، و يمكن معرفة تطور البشرية من خلال وظيفة الحواس في الإنسان أيضا، و يقول نصير بوعلي في هذا:الصدد أن الغاية و المقصد من تفسير عزي عبد الرحمان للإعلام حواسيا هو أولا التنبيه الى العلاقة الترابطية بين العالم و المعلوم أي بين العارف و غيره ، كما يقصد بها التنبيه إلى مخاطر تجزأ الإنسان. (بومعيزة، ٢٠١٥).

٤) أهمية النظرية في حقل علوم الاعلام و الاتصال و البنية القيمية

نظرية الحتمية القيمية ذات أهمية بالغة في الأبحاث الإعلامية حيث أنها حاولت تخطي الخلل النظري في النظريات الغربية التي تدرس فقط الجانب المحسوس، وهذا لا يعبّر عن الواقع كما هو بل يعبّر عن جزء من هذا الواقع وبالتالي تكون النتائج جزئية كما أن نظرية الإعلام عبر محدد واحد وهو الرسالة الإعلامية وارتباطها بالقيم .

من جهة أخرى يذهب الباحث » السعيد بومعيزة « الى ان نظرية المفكر الجزائري عبد الرحمان عزي على درجة كبيرة من الأهمية لأنها تجعل من القيم متغيرا مستقلا و ليس متغيرا تابعا ، و بالتالي يقول الباحث :وضع هذه النظرية في مصاف تنظير المفكرين الكبار أمثال ماكس فيبر الذي حاول شرح تطور الرأسمالية الغربية انطلاقا من الدور الذي تلعبه القيم الدينية البروتستانتية ... الخ » و في سياق آخر يشير السعيد بومعيزة إلى أن أهمية نظرية الحتمية القيمية تبرز في قدرتها على مساعدتنا في فهم أزمة البنية القيمية في المجتمع الانساني ككل . (عبدالرحمان).

ومن هذا المنطلق و من خلال ماذكرنا سابقا أن علوم الإعلام و الاتصال كعلم قائم بحد ذاته إلا أنه مزال يعاني من الكثير من الفراغات المنهجية من حيث تطبيق خطوات البحث العلمي انطلاقا من تحديد الإشكالية إلى الوصول إلى النتائج ،و هذا باعتماد على منهج معين يدرس الظاهرة الإعلامية و الاتصالية بمختلف جوانبها وهذا طبعا يحتاج إلى مقاربة نظرية التي تظم جملة التصورات و المبادئ و الإستراتيجيات التي من خلالها يتم تصور الكيفية يتم فيها معالجة الظاهرة الإتصالية و اعتماد نوع محدد من المناهج حسب طبيعة الموضوع المدروس ،فهذه المقاربات و المناهج و مختلف الأطر المعرفية التي تهتم بخطوات البحث العلمي وهذه الخطوات التي تبدأ بجملة من الإشكالات و التساؤلات المطروحة حول بناء الواقع المنهجي لبحوث الإعلام و الاتصال خاصة في المجتمعات العربية التي تعاني الكثير من الفراغات المنهجية الإتهامات لها عدة اتهامات ،فبحوث الإعلام و الاتصال تعرضت الكثير من الإتهامات و الإنتقادات و أن المجتمعات النامية مستوردون نماذج و مناهج البحوث الغربية التي تتسم بعدم تلاؤمها مع السياق الثقافي و الحضاري لهذه الدول .إلى أن جاء المفكر الجزائري عزي عبد الرحمان بنظريته المشهورة الحتمية القيمية التي تفترض أن الرسالة هي القيم أي أن يكون الاتصال حاملا للقيم الثقافية و الروحية التي تدفع بالإنسان و المجتمع إلى التقدم و التأثيرات الإيجابية .

فعزي عبد الرحمان ينطلق من البنيوية التي تستخدم أداة "التضاد الثنائي" في دراسة اللغة كمؤسسة مستقلة وترى أن اللفظ يفهم في مقابلته مع لفظ آخر يغايره في المعنى وليس في المبنى.و يستخدم عبد الرحمن عزي هذه الأداة في مقاربة النظريات الاتصالية والمقارنة بينها..... وبالفعل لا يمكن فهم أي نظرية بمعزل عن سياق النظريات الأخرى. فنظرية الحتمية القيمية الإعلامية تفهم بشكل جيد عند مقارنتها بالحتمية التقنية ،كما أنها تدفع إلى دراسة وتبيان تجزؤ هذه النظرية وتوفر إطارا ينتقدها ، لكن هم الحتمية القيمية ليس البحث أو الانشغال بالعيوب في النظريات الأخرى وإنما التعبير عن الذات والتميز الثقافي والحضاري . وتتعايش الحتمية القيمية الإعلامية مع النظريات الإعلامية الأخرى على بعض المستويات الواقعية والمنطقية لكن تنفصل عنها على مستوى القيمة (من كلام عزي عبد الرحمان). وإذا كانت المرجعية الاجتماعية مصدر قوة نظريات الاتصال الغربية فإن المرجعية القيمية تشكل ثقل نظرية الحتمية القيمية الإعلامية .

الخاتمة:

و نافلة القول أن بحوث الإعلام و الإتصال من العلوم الحديثة التي ليس لها إرثا فكريا على خلاف العلوم الأخرى ،خاقة في المجتمعات العربية ،و نتيجة لحداثة هذا المجال لم يتمكن بعض المفكرين و الباحثين من استيعاب مفاهميه و نظرياته .و بناءه المنهجي المتضمن أهم الخطوات المنهجية من مقاربات و مناهج ملائمة .

فجاءت دراسات وأبحاث عبد الرحمان عزي لتضع لبنة مهمة في هذا المجال ولتفتح باب المناقشة في أبحاث ومواضيع علوم الإعلام والاتصال ،وأكدت الحتمية القيمية ربط الظاهرة الإعلامية بالقيم الإسلامية في الدراسات والأبحاث الخاصة بالوطن الإسلامي ،لذا فهذه النظرية تحمل العالمية على مرحلة الحتمية مما يحقق التنوع الثقافي ويقف سدا منيعا في وجه العولمة الإعلامية،فمفاهيم نظرية الحتمية القيمة تمثل دراسة أفكار العقل المعرفي في زواية الأنا و ليس الأخر ،و رموزا تشير إلى المنظومة الإتصالية و الإعلامية العربية من البعد الحضاري الذي تنتمي إليه .

و عليه لأجل النهوض بعلوم الإعلام و الاتصال في المجتمعات العربية كمهنة و كحقل علمي متخصص فإن من الضروري إعادة تنظيم البيئة من الداخل و الإهتمام ببنية بحثية تقوم على نظام متكامل و منسق ،يضم مجموعة من الفرضيات و الفكار و المناهج و أدوات التحليل و البرهنة ،ترتبط بصورة جدلية بالظواهر الإعلامية فير سياقها المجتمعي و التاريخي ،و لكي يتحقق ذلك لابد من التزام بالشروط التالية على حد تعبير عواطف عبد الرحمان :

- تعددية المراحل المنهجية و تنوع الأدوات البحثية .
- وضع الفروض بعيد عن المسلمات التقليدية و المستقاة من البحوث الإعلامية التي اجريت في سياقات إجتماعية و تاريخية أجنبية غربية .
- دراسة العمليات الاتصالية في إطار تكاملي لا يستبعد أي طرف من أطرافها، وتشمل منتج المادة الإعلامية .
- الوسيلة المضمون الجمهور السياق المجتمعي والتاريخي والحضاري.
- العمل الجماعي في إطار البحوث الإعلامية، ومع التخصصات الأخرى وتكوين فرق بحثية تقوم برصد وتوصيفوتحليل الظواهر الإعلامية وتقييم الجهود البحثية وتطوير المناهج والأساليب البحثية بما يتفق مع واقع واحتياجات المجتمعات العربية.

ومن هذا وكله فاننا نستنتج أن بحوث الإعلام والاتصال مازلت هشة تحتاج ،إلى ما يسمى بالتجاسر المعرفي و التكامل بين حقل علوم الإعلام و الاتصال و بعض التخصصات المعرفية و أصبحت هذه المسألة مهمة جدا بالنسبة للباحثين و الأكاديمين و المفكرين .

قائمة المراجع

1. (2017, 02أوت). Récupéré sur http://www.educpress.com/19933.edu .
2. paul, H., & moscovici, s. (1998). *problems del'anlyse de contenu* .
٣. إحسان محمد حسين. (١٩٩٦). *الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي* . بيروت: دار الطليعة .
٤. أحمد بن مرسلي. (٢٠١٠). *مناهج البحث العلمي في علوم الإعلام و الاتصال،ط٤* . الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية
٥. السعيد بومعيزة. (٢٠١٥). *لماذا نهتم بدراسة القيم ؟، من موقع النظرية الحتمية القيمية*. تم الاسترداد من https://sites.google.com/site/valuemediadeterminismtheory
٦. الكتروني موقع. (٢٠١٧). تم الاسترداد من mawdoo3,com //:http .
٧. رشدي طعيمة. (١٩٨٧). *تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية* . القاهرة: دار الفكر .
٨. عزي عبدالرحمان. (بلا تاريخ). *موقع نظرية الحتمية القيمية*.
٩. عمار عوابدي. (١٩٨٥). *مناهج البحث العلمي و تطبيقاتها ،قاموس لاروس.ط٣* . الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية .
١٠. محمد عبد الحميد. (١٩٩٣). *البحث العلمي في الدراسات الإعلامية*. القاهرة : عالم الكتب .
١١. محمود قالندر. (٢٠١٥). *التكامل المعرفي و توطين العلوم الحديثة ،الحتمية القيمية في طرح النماذج التطبيقية ،مقرر الإتصال و المجتمع نموذجا جامعة البحرين* . تم الاسترداد من https://sites.google.com/site/valuemediadeterminismtheory
١٢. مصطفي حسين باهي، و منى أحمد الأزهري. (٢٠٠٦). *أدوات التقويم في البحث العلمي*. القاهرة : المكتبة الأنجلو مصرية.
١٣. منتدى طلبة جامعةورقلة. (٠٦ ٠٩، ٢٠٢٠). تم الاسترداد من http://30dz.justgoo.com/t1181-topic
١٤. نصير بوعلي. (٢٠٠٥). *الاعلام و القيم ، قراءة في نظرية المفكر الجزائري عبد الرحمان عزي*. الجزائر: دار الهدى .
١٥. وهاب بركات. (٠١ أوت ، ٢٠٢٠). تم الاسترداد من http://ainbeidaeduc.blogspot.com/2012
١٦. يوسف تمار. (٢٥ ٠٧، ٢٠١٨). تم الاسترداد من http://temmqryoucef.ab.ma